

تفسير البحر المحيط

@ 6 @ الدمشقي ، ثم أمرهم باتباع ملة إبراهيم فقال : .

{ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } وهي ملة الإسلام التي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون معه ، فيخلصون من ملة اليهودية . وعرض بقوله : وما كان من المشركين : إلى أنهم مشركون في اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في سورة البقرة تفسيراً وإعراباً فأغنى عن إعادته . وقرأ أبيان بن ثعلب قل صدق : بإدغام اللام في الصاد ، و (قل سيروا) بإدغام اللام في السين . وأدغم حمزة والكسائي وهشام أبل سولت) . قال ابن جنى : علة ذلك فشوش هذين الحرفين في الفم وانتشار الصوت المثبت عنهما ، فقاربنا بذلك مخرج اللام ، فجاز إدغامها فيهما انتهى . وهو راجع لمعنى كلام سيبويه ، قال سيبويه : والإدغام يعني إدغام اللام مع الطاء والصاد وأخواتهما جائز ، وليس ككثرته مع الراء ، لأن هذه الحروف تراخين عنها وهي من الثنايا . قال : وجواز الإدغام لأن آخر مخرج اللام قريب من مخرجها انتهى كلامه . .

{ إِنَّ أَوْلَّ لَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْتِ كَعْبَةَ } روي عن مجاهد : أنه تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة ، لأنّها مهاجر الأنبياء ، وفي الأرض المقدسة . وقال المسلمون : بل الكعبة أفضل ، فنزلت . ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وهو : أنه لما أمر تعالى باتباع ملة إبراهيم وكان حج البيت من أعظم شعائر ملة إبراهيم ومن خصوصيات دينه ، أخذ في ذكر البيت وفضائله ليبنى على ذلك ذكر الحج ووجوبه . وأيضاً فإن اليهود حين حولت القبلة إلى الكعبة طعنوا في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقالوا : بيت المقدس أفضل وأحق بالاستقبال لأنه وضع قبل الكعبة ، وهو أرض المحشر ، وقبله جميع الأنبياء ، فأكذبهم الله في ذلك بقوله : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) كما أكذبهم في دعواهم قبل : إنما حرم عليهم ما كان محرماً على يعقوب من قبل أن تنزل التوراة ، وأيضاً فإن كل فرقة من اليهود والنصارى زعمت أنها على ملة إبراهيم ، ومن شعائر ملته حج الكعبة وهم لا يحجونها ، فأكذبهم الله في دعواهم تلك ، والأول هو الفرد السابق غيره . وتقدم الكلام على لفظ أول في قوله : (ولا تكونوا أول كافر به) ووضع جملة في موضع الصفة . واختلف في معنى كونه أول بيت وضع للناس . فقيل : هو أول بيت ظهر على وجه الماء حين خلقت السموات والأرض ، خلقه قبل الأرض بألفي عام ، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته . وقيل : هو أول بيت بناه آدم

في الأرض . وقيل : لما أهبط آدم قالت له الملائكة : طُفُّ حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك
بألفي عام ، وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له : الضراح ، فرفع في الطوفان إلى
السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات . وذكر الشريف أبو البركات أسعد بن علي بن أبي
الغنائم الحسيني الجواني النسابة : أن شيث بن آدم هو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة
على موضع الخيمة التي كان ﷺ وضعها لآدم من الجنة ، فعلى هذه الأفاويل يكون أول بيت وضع
للناس على ظاهره ، وروي عن ابن عباس أنه أول بيت حج بعد الطوفان ، فتكون الأولية
باعتبار هذا الوصف من الحج إذ كان قبله بيوت ، وروي عن عليّ أنه سأله رجل : أهو أول
بيت ؟ فقال عليّ : لا قد كان قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى
والرحمة والبركة ، فأخذ الأولية بقيد هذه الحال . وقيل : أول من بناه إبراهيم ثم قوم من
العرب من جرهم ، ثم هدم فبنته العمالقة ، ثم هدم فبنته قريش . وقال أبو ذر : قلت يا
رسول ﷺ أي مسجد وضع أول ؟ قال : (المسجد الحرام) قلت : ثم أي ؟ قال : (المسجد
الأقصى) قلت : كم كان بينهما ؟ قال : (أربعون سنة) وظاهر هذا الحديث